جامعة الأزهر

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مجلة علمية محكمة

العدد التاسع عشر

(الجزء الأول)

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

جامعة الأزهر

حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مجلة علمية مُحكَّمَة

العدد التاسع عشر

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
30120000530312
عمادة شئون المكتبات

٢١٠.٥
ح ك ح

رقم الإيداع
٢٠٠١/٤/١/٦١٩٤

نسخة لاتعار

دار البيان
للطبع والنشر

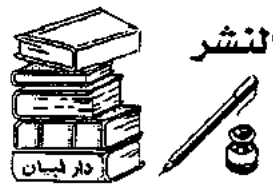

٧ عمارات الجبل الأخضر أمام نادى السكة الحديد
مدينة نصر القاهرة تليفاكس: ٤٨٢٢٤٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ...

فيسرني ويسعدني أن أقدم للسادة القراء والباحثين العدد التاسع عشر من حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، يحمل بين طياته طائفة من البحوث العلمية والأدبية المحكمة، قام بتأليفها صفوة من السادة أعضاء هيئة التدريس فى الكلية رغبة منهم فى نشر العلم والمعرفة .

والله الكريم أسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة العلم والدين، وأن يرزقنا الصدق فى القول والإخلاص فى العمل إنه سميع مجيب.

الأستاذ الدكتور/ محمود السيد شيخون
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة
ورئيس التحرير

إيضـــاح

١- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة هى مجلة علمية مُحكَّمة تصدر مرة كل عام .

٢- تعنى الحولية بنشر البحوث العلمية التى تتميز بالأصالة والجدة فى ميدان الدراسات الإسلامية والعربية .

٣- تخضع البحوث العلمية المقدمة للنشر بها للتحكيم العلمى السرى من قبل اثنين من الأساتذة المتخصصين في مجال البحث المقدم.

٤- الدراسات والمقالات المنشورة فى هذه الحولية تعبر عن آراء وفكر أصحابها. ولا تمثل - بالضرورة - رأى المجلة أو اتجاهها .

٥- ترتيب الموضوعات فى الحولية يخضع لأمور فنية، لا علاقة لها بأهمية البحث أو مكانة الباحث .

هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور/ محمود السيد شيخون

عميد الكلية

أسرة التحرير

الأستاذ الدكتور/ نادى حسين عبد الجواد

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها

الأستاذ الدكتور/ فهمى حسن النمر

الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها

الأستاذ الدكتور/ على جمعة محمد عبد الوهاب

الأستاذ المساعد بقسم الشريعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ حمودة محمد داود سند

الأستاذ بقسم أصول الدين بالكلية

فـي ذمـــة اللـــه

أ.د. محمد أحمد على سحلول

الداعية النحوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين سبحانه جل شأنه فقد كتب لنفسه البقاء وكتب على الدنيا الفناء فقال : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد ...

فقد أشرف على حولية الكلية فضيلة الأستاذ الدكتور محمد أحمد علي سحلول أستاذ اللغويات بالكلية ووكيلها وفى أثناء مراجعة المادة العلميةبالحولية انتقل الدكتور إلى رحمة ربه ففاضت روحه إثر حادث أليم فكلفت بمتابعة الحولية لأتمم ما قام به الشيخ ، وصدق القائل : « كل من فى الدنيا ضيف ، وما فى يد ه عارية والضيف مرتحل والعارية مؤاداة » ، فالحياة تسلم وتسليم ، لذلك كان من الواجب أن نسجل بعض مآثر الشيخ فى مجال الدعوة والنحو لقد كان الشيخ مفتاحاً للخير مغلاقًا للشر ، معطاءً ، ورعًا ، تقيًا ، نقيًا ، يتسم بحلاوة اللسان ، وحسن الاستقبال ، فقد فقدت جامعة الأزهر بصفة عامة ، وكلية الدراسات بصفة خاصة علمًا من أعلامها، وشيخًا من كبار الشيوخ بانتقال الدكتور سحلول إلى الدار الآخرة ، يوم الأحد ٢٦/ ٣/ ٢٠٠١ م ليكون آخر أيامه معطاءً بالكلية، ولتكن آخر خطواته إلى المسجد ، وآخر رحلاته لإصلاح ذات البين ، وآخر كلماته : لا إله الله محمد رسول الله ، رحم الله الشيخ رحمة واسعة فقد أسهم بكتبه وخطبه وتوجيهاته فى مجال الدعوة إلى الله فمن

أهـــم مؤلفاتـه :

١ ـ النحو قبل كتاب سيبويه ـ رسالة دكتوراه.

٢ ـ ضوابط النفس فى اللسـان العربى ـ مطبعة النهـضة العربية «الـفجالة » سنة ١٩٨١م .

٣ ـ الجرمى حياته وآراؤه النحوية ، مطبعة الأمانة شبراً مصر سنة ١٩٨٣م.

٤ ـ النحو التطبيقى : أربعة أجزاء ، دار الطباعة المحمدية .

٥ ـ القرآن يتحدث عن محمد « ﷺ »طبع ونشرالمؤسسةالعربية الحديثة .

٦ ـ من بلاغة الحديث النبوى ـ صدر منه أربعة أجزاء ـ دار الأصالة .

٧ ـ الطريق إلى النصر من رحاب المسجد ـ دار الأصالة .

٨ ـ من هدى القرآن وإعجازه ـ دار الأصالة ١٩٩٨ .

٩ ـ الأعياد فى الإسلام ـ دار الأصالة ١٩٩٨ .

١٠ ـ فى رحاب شهر القرآن ـ دار الأصالة ـ ١٩٩٨ .

وقد ترك الشيخ ما يزيد عن أربعين مؤلفًا انتفع بها المسلمون ، وهى الأثر الطيب للشـيخ لقول النبى ﷺ « أو علمٌ ينتـفع به » . فرحم الله الـشيخ رحمـة واسعة وصـدق القائل : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ... إنا لله وإنا إليه راجعون .

إعداد

أ.د / نادى حسين عبد الجواد

قسم
أصول الدين

١- الاستشراق والمستشرقون

د/ أحمد بخيت عبد ربه الليمونى

٢- جلاء الظلم

د/ محمد بن ناصر القرنى

٣- العلو والنزول وأثره فى الإسناد

د/حسن القصبى

٤- الأخبار الغيبية الدنيوية كما جاء فى القرآن الكريم

د/ حصه أحمد عبد الله الغزال

٥- كتابة الحديث

د/ محمد بن ناصر القرنى

الاستشراق والمستشرقون

الدكتور
أحمد بخيت عبد ربه الليمونى
مدرس العقيدة والفلسفة
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستشراق والمستشرقون وموقفهم من الإسلام.

الحمد لله وحده نحمدُه ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله . خاتم الأنبياء وإمام المرسلين اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين صدقوا في القول وأخلصوا لله في العمل فكانوا قادة مصلحين .

وبعد ، ،

فإن التآمر على الإسلام والمسلمين ليس وليد اليوم بل هو قديم قدم دعوة الحق ورسالات السماء ومما لا شك فيه أن الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر قائم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا غرابة إذا قلنا : إن من أعظم المؤامرات وأخطرها على الإسلام والمسلمين هى مؤامرات الاستشراق والمستشرقين ومن ثم رأيت أنه من الضروري التقديم للموضوع الذي هو محل الدراسة والبحث الذي نحن بصدده بمدخل موجز عن المستشرقين متوخيا فيه الإيجاز قدر الطاقة حتى لا يطول . وعليه فلم أتعرض فيه إلا للجوانب الهامة . والتي يمكن أن تكون بمثابة المصباح الذي يضئ الطريق أمام

المسلمين عامة . لذا فقد قسمت البحث إلى المطالب الآتية :

المطلب الأول : التعريف بالاستشراق .

المطلب الثاني : نشأة الاستشراق .

المطلب الثالث : أهداف المستشرقين .

المطلب الرابع : طوائف المستشرقين .

المطلب الخامس : منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام .

المطلب السادس الرد على مزاعمهم الفاسدة وتصدي الإسلام لهم.

ثم ختمت البحث بتعقيب . والله من وراء القصد . وعلى الله قصد السبيل .

المطلب الأول : التعريف بالاستشراق

بادئ ذي بدء وقبل أن نتعرض لأكاذيب المستشرقين حول الإسلام نذكر لمحة تاريخية عن الاستشراق ومتى نشأ وما هى مراحل تطوره وما هى أهدافه . ومنهجه في دراسة الإسلام .

- إن الاستشراق ظاهرة ليست وليدة العصر الحديث وإنما هى عملية قديمة عرفتها الحياة الثقافية منذ عهد بعيد .

فقد تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار وخيمة وعميقة .. ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية .. وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية الإسلامية ؛ لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى . وخاصة ما كان منها متعلقا بالجانب اللغوي[1] ، وبمرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية حتى شملت أديانا ولغات وثقافات غير الإسلام [2].

- ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامي .

و الاستشراق بدأ في القران الثالث عشر الميلادي حين أمر

---

(١) المستشرقون أ/ نجيب العقيقي ص ١١٠ ط دار المعارف .

(٢) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي . د/ محمد البهي ص ٤٦ ط وهبه .

الفونس العاشر ملك قشتالة - الملقب بالحكيم سنة ١٢٥٢- ١٢٨٤م بإنشاء معهد للدراسات العليا في مرسيليا سنة ١٢٦٩م ، واختار له أعلام المسلمين والنصارى واليهود . وعلى رأسهم أبو بكر الرقوطي وعَهِدَ إليهم بالترجمة والتصنيف ، وكان يشرف بنفسه على التوجيه والتحرير والتخصص [١].

وأظن أن هذه الآراء منقولة عن المستشرقين أنفسهم نقلها عنهم تلاميذهم ممن تعلّم في مدارس الغرب أو مدارس العالم الإسلامي الخاضعة للمنهج الاستشراقي . والذي يقره الواقع والتاريخ ليس كذلك بل على خلاف ذلك حيث يؤكد أن الاستشراق بدأ في القرن الثامن عشر الميلادي الثاني العشر الهجري . وذلك باتفاق الكتاب الشرقيين والغربيين على السواء في آن واحد بقيادة يوحنا ويبدأ ولكنه كان في الغرب أكثر فاعلية حيث أقبل أهل أسبانيا على نقل علوم المسلمين بفهم شديد بغية معرفة أسرار قوة المسلمين وازدهارهم وحضارتهم التي بهرت العالم أجمع في ذلك الحين . في حين كانت أوربا في عصور ها المظلمة . بل إن القراءة والكتابة خلت في أوربا إلا فيما بين القسيسين والرهبان . فكان لهذه الحضارة الأثر الفعال حتى أنه وفد الشرق والغرب وعنوا بتفاصيلها تفسيرا واقتباسا وتصنيفا . واختلفوا إلى مجامعهم كمجامع اليوم للجدل والمناظرة [٢]، وعليه

(١) فلسفة الاستشراق أ/ أحمد كايلفتس ص ٥٧ ط دار المعارف .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٨١ .

يمكن أن نقول : إن الاستشراق عبارة عن : موقف عقلي كامن في طبيعة الغرب ، وهو بالتالي . تركيب بنائي في عقلية الغرب من حيث السيادة والتحكم ، وهو أسلوب منهجي لإشباع النفوس بما يفترضون مسبقا بالقصور .. ثم إن الشرق لكي يصبح هذا الشرق شرقا بالمعنى الذي يريدونه هم فيستسلم لمطالبهم وليس شرقا بالمعنى الحقيقي الصحيح كما هو واقعه [1].

فمن خلال هذا النص يمكن القول إن الاستشراق هو العناية بحضارة الشرق ولغته وآدابه والمستشرق كل من يتعلم المعارف المتصلة بأوجه الحضارات الشرقية أو من يؤلف في موضوعات شرقية أو يترجم لها .

ولا شك أن هذا مفهوم دائرته أوسع بكثير من بيان حقيقة الاستشراق والمستشرقون وإنما المعنى الحقيقي لهما هو : الذي يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي كما هو واضح من خلال التعريفات السابقة وفي هذا المعنى يقول : أستاذنا الدكتور / محمود حمد زقزوق : « وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه الذهن عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضا في كتابات المستشرقين المعنيين [2]. هذا ومما لا ريب فيه أن مفكرو الغرب درسوا تاريخ الأمة

(١) الاستشراق والمستشرقون أ.د / مصطفى السباعي ص ٣٠ وما بعدها بتصرف. بدون

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري أ.د / محمود حمدي زقزوق ص ١٨ . بدون

الإسلامية وتبين لهم من هذه الدراسة أن مجدها وعزها ومنبع القوة عند المسلمين تتجلى في العقيدة الإسلامية الكامنة في قلوب المسلمين.

لما تبين لهم أيضا أن سبب انهزامهم وما لحق بهم أبان الحروب الصليبية إنما مرجع ذلك كله . هو تمسك المسلمين بدينهم وعقيدتهم ومن هنا كان لابد أن يتآمروا بطريقة أو بأخرى لأمر يكون فيه النصر لهم والغلبة على الإسلام والمسلمين فعملوا بكل ما يملكون من قوة لزعزعة عقيدة المسلمين الراسخة في قلوبهم ولا يكون لهم ذلك إلا بإثارة الشبهات حول هذه العقيدة . ومن جهة أخرى رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فأقبلوا أيضا على الاستشراق كما ذكرت ذلك من قبل وهناك ملاحظة لبعض الباحثين تتعلق بالمستشرقين اليهود خاصة . فالظاهر أن هؤلاء أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهى محاولة إضعاف المسلمين والإسلام والتشكيك في قيمة بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بإدعاء أن اليهودية في نظرهم هى مصدر الإسلام الأول ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرا أولا . ثم دولة ثانيا[1] ، ومن هذا المنطلق جند الغرب جماعة من العلماء سموهم (بالمستشرقين) تخصصوا في الدراسات الشرقية والعقائد الإسلامية ، وذلك لكي يتثقفوا في الدراسات الإسلامية من جوانبها المختلفة . حتى يتسنى لهم أن يشككوا المسلمين في أمر دينهم وزعزعة

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د/ محمد البهي ص ٤٣. مرجع سابق

عقيدتهم . وامتزج الاستشراق بالتبشير حيث كانوا يمدونهم بالمعلومات الدينية المشوهة عن الإسلام «قرآنه ونبيه وشريعته» . ويعمل المبشرون على الاستفادة بها في مجال عملهم التبشيري بين المسلمين . مما أدى إلى ضعف الثقة فيما يكتبه المستشرقون عن الإسلام . وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور عبد الحليم محمود : « بدأ الغربيون يدرسون في شيء من التدبر والروية هذا الشرق الذي كان لا يثير في نفوسهم إلا ما رسمه رجال مغرضون من صور تبعث في النفس النفور والاشمئزاز ، ثم كانت الرحلات الكثيرة والاتصال المستمرة و الصلات المباشرة الوثيقة من العوامل الفعالة في إزالة كثير من الأوهام التي علقت بأذهان الغربيين عن الشرق وعن الإسلام»[1] .

وعليه فقد كان للاستشراق أكبر الأثر في صياغة التصورات الأوربية عن الإسلام وفي تضليل وتشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام والمسلمين على مدى قرون عديدة وفي هذا يقول أستاذنا/ الدكتورمحمود حمدي زقزوق :« ولا يزال الغربيون حتى اليوم يستقون معلوماتهم عن الإسلام من كتابات المختصين في هذا المجال من الأوربيين وهؤلاء بطبيعة الحال من طبقة المستشرقين[2] . ولعل هذا هو الذي يدفعنا للتصدي بكل ما نملك من قوة لهذا الفكر الهدام اليي يبغي النيل من الإسلام والمسلمين وحسبنا في هذا الشأن أن

(١) أوروبا والإسلام أ.د/ عبد الحليم محمود ص ٥ .دار الحكمة.
(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ١٤ مرجع سابق.

نستعرض بعض النقاط الهامة التي تعرض لها هؤلاء بالزيف والتضليل بقصد تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام حقدا وغيظا على الإسلام وأهله وصدق الله حيث يقول: ﴿ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ [1].

(١) سورة آل عمران الآية رقم ١١٩.

المطلب الثاني : نشأة الاستشراق

إن حركة الاستشراق ليست وليدة العصر وإنما هي عملية قديمة عرفتها الحياة الثقافية منذ عهد بعيد كما ذكرت ذلك سابقا والحق أنه من الصعب تحديد تاريخ معين لبدايتها يقول الأستاذ / نجيب العفيفي : « تركت الحروب الصليبية في نفوس الأوربيين ما تركت من آثار عميقة .. ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرية .. وهذه أدت بهم إلى الدراسات العربية الإسلامية لأن الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى وخاصة ما كان متعلقا بالجانب اللغوي »[1] . وإن كان البعض يؤرخ أو يشير إلى أن الغرب المسيحي يرى أن بداية الاستشراق الرسمي كان بصدور قرار مجمع فينيا الكنسي سنة ١٩١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية [2].

هذا ويرى البعض أن الاستشراق أصبح تخصصا رسميا في العالم النصراني بناء على قرار مجلس فينيا الكنسي الصادر سنة ١٣١٢ هـ الذي ينص على إقامة عدة مناصب جامعية للأستاذية في اللغات العربية واليونانية والعبرية والسريانية والفارسية والتركية بكل جامعات باريس وأكسفورد وغيرها [3]، ومن خلال هذه النصوص يتضح أن الاستشراق الرسمي المشار إليه بسبقه استشراق غير رسمي

---

(١) المستشرقون أ نجيب العفيفي ص ١١٠ جـ١ دار المعارف .
(٢) المرجع السابق ص ٧٢ جـ١ .
(٣) الاستشراق د/ عبد الفتاح الديدي ص ٧١ .

قبل هذا التاريخ ، وليس ثمة هناك شك في أن الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب لفت أنظار رجال اللاهوت المسيحي إلى هذا الدين ومن هنا بدأت عنايتهم بالإسلام ودراسته لا من أجل اعتناقه. وإنما من أجل حماية إخوانهم النصارى .

ومن ثم نجد أنه ليس هناك اتفاق على فترة زمنية معينة لبداية الاستشراق وإن كان بعض الباحثين يذهب إلى القول : « بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادي عشر الميلادي ، بينما يرى (رودي بارت) وهو مستشرق ألماني معاصر وصاحب أحدث ترجمع لمعاني القرآن الكريم . يرى أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا ترجع إلى القرن الثاني عشر الذي نمت فيه لأول مرة ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية .

كما ظهر أيضا في القرن نفسه أول قاموس لاتيني عربي [1].

وهناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين - أي في القرن العاشر الميلادي - وليس المهم هنا متى ظهر مفهوم الاستشراق . وإنما المهم متى بدأت الدراسات الإسلامية والعربية في أوربا ومتي بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية بالقبول أو بالرفض . وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والنصراني

(١) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق ص ٢٠ مرجع سابق .

في الأندلس وصقلية . كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وحضارته . ومن هنا يمكننا القول بأن تاريخ الاستشراق في مراحله الأولى يرجع إلى تاريخ الصراع بين العالم النصراني الغربي في القرون الوسطى والشرق الإسلامي . فقد كان الإسلام يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصراني في أوربا على كافة المستويات فباعتباره مشكلة عملية استدعى الأمر اتخاذ إجراءات معنية كالصليبية والدعوة إلى النصرانية ،والتبادل التجاري وباعتباره مشكلة لاهوتية تتطلب بإلحاح العديد من الإجابات على العديد من الأسئلة في هذا الصدد [1]، وإذا كان الاستشراق بناء على ما تقدم ذكره يمتد إلى ما يقرب من ألف عام مضت فإن مفهوم مستشرق لم يظهر إلا في نهاية القرن الثامن عشر .

فقد ظهر في انجلترا عام ١٧٧٩ م وفي فرنسا عام ١٧٧٩ م وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م[2].

هذا وإذا كانت الحروب الصليبية لم تؤت ثمارها في القضاء على الإسلام وأهله . فإن الغرب ظل يضمر العداوة ويدبر المؤامرات للتشكيك والتضليل في دين الإسلام والطعن فيه والنيل منه ومن نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ دون سند من الحقيقة أو الواقع . ولقد بلغ من

---

(١) الاستشراق د/ محمود حمدي زقزوق ص ٢٢ مرجع سابق .
(٢) من صور الغزو الفكري للإسلام د/ سلطان عد الحميد سلطان ص ٥١ .دار الفكر العربي .

حقد هؤلاء الطغاة أن علموا أطفالهم أناشيد في المدارس تضمر هذا الحقد والعداء .

وفي هذا ما يقول الأستاذ / محمد الطهطاوي في كتابه التبشير والاستشراق ما نصه :« إني ذاهب يا أمي إلى الجهاد لمحو القرآن . وإذا مت فلا تحزني عليّ وإن سئلت عن السبب في عدم حدادك عليّ فقولي وأنت فرحة لقد استشهد في سبيل القضاء على الإسلام »[1].

هكذا نلاحظ من خلال هذا النص مدى الحقد الدفين الذي يلقنوه لأطفالهم من بغض للإسلام والمسلمين حتى إذا شب الواحد منهم كان ذلك شبيه بالغرائز الفطرية فيهم . وياليته يضمر هذا الحقد في نفسه فقط كلا . بل يدعو غيره إلى ذلك . ومن هنا اندفعت رغبات المستشرقين الجامحة في الكتابة ضد الإسلام والطعن فيه بروح الحقد والغيظ والتشفي والانتقام . والنيل من مكانة رسول الله ﷺ . فنشر الأوربيون في القرون الوسطى أن المسلمين يعتقدون في ألوهية محمد ﷺ لذلك فهم وثنيون . وذلك دون سند من الحقيقة أو الواقع . وكذلك ظهرت بعض الأغاني كأغنية (رولات) تصور بأنهم يعبدون مجموعة من الآلهة . هي (ما هولت) أي محمد وأبو ليق وترافاجس وإن لهذه الآلهة تماثيل مصنوعة من الذهب والفضة خصوصا بالنسبة لمحمد ويعنون باسم أبو ليق (الله) وبترافاجس (القرآن) [2].

(١) التبشير والاستشراق أ. محمد عزت الطهطاوي ص ٤٨. مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) التبشير والاستشراق أحقادا وحملات المستشار د محمد عزت الطهطاوي ص ٣٨ ط مجمع البحثو الإسلامية.

وإن الإنسان العاقل ليعجب أشد العجب حينما يقرأ أمثال هذه الكلمات الكاذبة الضالة عن عقيدة المسلمين بربهم ونبيهم وذلك لأن القرآن الكريم سجل منذ اللحظة الأولى للدعوة بأن الله واحد لا شريك له يقول الحق سبحانه وتعالى :﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [1].وكذلك النبي ﷺ ندد بالأوثان وبعُباد الأوثان وحاربهم حربا لا هوادة فيها . ووقف بكل قوة وصلابة في وجوه صناديد الكفر والطغيان مما دعاهم إلى أن يتفاوضوا معه في أن يعبدوا إلهه يوما ويعبد آلهتهم يوما فأبى النبي ﷺ وظل يدعوا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد . وتصدى القرآن الكريم لهذا الأمر بكل قوة فقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد .لكم دينكم ولي دين ﴾ . ولقد دعا النبي ﷺ إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان وناله في سبيل تلك الدعوة الكثير والكثير من أنواع الأذى. ولكنه ﷺ لم تزحزحه تلك الأعاصير . ولم يتهاون في الدعوة إلى عبادة الله وحده . وجاءت عبارته المشهورة التي قالها لعمه أبو طالب حينما شعر بأنه تخاذل وتهاون في الوقوف بجانبه والاستمرار في نصرته. أمام صناديد الكفر والشرك قائلا :

« والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على

---

(١) سورة الأخلاص .
(٢) سورة الكافرون بأكملها .

على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتي يظهره الله أو أهلك دونه»[1] .فهل يعقل بعد هذه المواقف من النبي ﷺ والصحابة العظماء الذين وقفوا أمام هؤلاء الجبابرة العتاه في القضاء على الوثنية. مدعاة لهؤلاء الطغاة أن يتهموا الإسلام ونبي الإسلام بالدعوة إلى الوثنية . الحق لا يقول بمثل هذا إلا من ملأ قبله الحقد وأعمت بصره وبصيرته الكراهية فجعلتهم يرهقون بما لا يعرفون ويتخبطون كما يتخبط من مسه الجن من أجل الكيد للإسلام ولنبي الإسلام وأصحابه ولم يكتفوا بهذا الطعن بل كانت لهم إتهامات أخرى زعموها بهتانا وزورا . ومما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة . وأن محمدا ﷺ . ليس إلا صنما . أو إله قبيلة أو شيطان . وملأت تلك الإتهامات والأساطير والخرافات خيال الكتاب اللتينين . ولم يكن الهدف بطبيعة الحال هو عرض صورة موضوعيه عن الإسلام . فقد كان هذا أبعد ما يكون عن أذهان المؤلفين في ذلك الزمان [2].وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور / حمدي زقزوق : «ويمكن القول بصفة عامة بأنه قد كان هناك في هذه الفترة المبكرة للاستشراق إتجاهان مختلفان فيما يتعلق بالأهداف والمواقف إزاء الإسلام . أما الإتجاه الأول فقد كان إتجاه لاهوتيا متطرفا في جدله العقيم ، ينظر إلى الإسلام من خلال ضباب كثيف من الخرافات

(١) التبشير والاستشراق . أ المستشار / محمد عزت الطهطاوي ص ٤٨ . مرجع سابق .
فقه السيرة - الشيخ محمد الغزالي ص ١٤ ط دار الكتب .
(٢) الغارة على العالم الإسلامي د/ محب الدين الخطيب ص ٧ دار الاعتصام بيروت .

والأساطير الشعبية ، أما الإتجاه الثاني فقد كان نسبيا بالمقارنة إلى الإتجاه الأول وأقرب إلى الموضوعية والعلمية - ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية والطب والفلسفة . ولكن الإتجاه الخرافي ظل حيا حتي القرن السابع عشر وما بعده ولا يزال هذا الإتجاه للأسف حيا في العصر الحاضر في كتابات بعض المستشرقين عن الإسلام ونبيه »[1].

بعد هذا الإفتراء والبهتان قيض الله عز وجل للإسلام من يدافع عنه من نفس الجنسيات المهاجمة له فقد ظهر بعض العقلاء من الأوربيين من وقفوا في وجه الظلم والإجحاف الذي لقيه الإسلام في القرب في القرون الوسطى وظهرت بعض المؤلفات المعتدلة عن الإسلام . والحضارة الإسلامية ولكنها في الحقيقة لم تستطع أن تفضي تماما على الصور المشوهة للإسلام في أذهان الأوربيين بصفة عامة تلك الصورة التي رسمتها القرون الوسطى في الأذهان والتي لا تزال أثارها عالقة بالأذهان حتي اليوم[2].

---

(١) الاستشراق د/ حمدي زقزوق ص ٢٤.

(٢)ثقافة الاستشراق ومصاثره - مجلة الفكر العربي عدد ٣١ ، د/ رضوان السيد ص ١٧ بتصرف .

المطلب الثالث : أهداف المستشرقين

بعد أن تحدثنا عن تاريخ الاستشراق وبيان حقيقته فإن هناك سؤال هام يطرح نفسه ، هو ما هو الهدف الذي يرمي إليه الاستشراق والمستشرقون من جراء حقدهم على الإسلام والمسلمين ؟

وفي الإجابة على هذا السؤال نقول : إن الهدف الرئيسي من وراء كتابات المستشرقين عن الإسلام يتمثل في الأمور التالية : -

١ - التواطؤ والتعاون شبه الجامعي على إشاعة الأكاذيب والأباطيل عن الإسلام ومحاولة التمويه والتضليل على هذه الأكاذيب بطريقة علمية وترويجها بطريقة تلقائية بحيث تظهر على أنها حقائق وحتى لا يتجه المسلمون بالدفاع عنها .

٢- إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وآثار الخلافات بين شعوبهم [١].

٣- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه وإبرازها والزعم بأنه مأخوذ من النصرانية واليهودية ، والانتقاص من قيمته والحط من قدر نبيه وفي هذا يقول الأستاذ / إبراهيم النعمة ما نصه :

« إحياء الجوانب الضعيفة في التراث الإسلامي خاصة فيما يتعلق

---

(١) الاسشراق والمستشوقون د/ مصطفى السباعي ص ٣٧.دار الكتب العلمية بيروت.

بالخلافات السياسية التي وقعت بين المسلمين أنفسهم والتركيز على دعوات الحركات الباطنية وإخراجها بصورة جميلة مضيئة ووصف هذه الدعوات بأنها كانت تحمل فكرا عالميا وفلسفة عميقة »[1].

٤- حماية النصارى من خطر الإسلام بحجب حقائقه عنهم وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين .

٥- إقتلاع العقيدة الإسلامية من قُلوب المسلمين وهدفهم التمسك بالإسلام نظاما وسلوكا .

٦- تفريغ العقل والقلب من القيم الإسلامية الأساسية من الإيمان بالله ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح والفيلم والأزياء والملابس وغيرها [2].

٧- التبشير ومحاولة تنصير المسلمين ، وفي هذا جاء :« لأن تتخذ الأمة الإسلامية مناهج التربية والتعليم لدولة من الدول الكبيرة فتطبقها على أبنائها وأجيالها . فتشوه بذلك فكرهم وتمسح عقولهم وتخرج بهم إلى الحياة . وقد أجادوا بتطبيق هذه المناهج عليهم شيئا واحدا هو تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج ... ويلتبس الأمر عليهم فيحسبون أنفسهم أنهم على الصواب ويدافعون عنه ويدعون إليه .

٨- أن تسود الأمة المغزوة أخلاق الأمة الغازية وعاداتها

(١) المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري أ. إبراهيم النعمة ص ٣٠ . بدون

(٢) شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي أ/ أنور الجندي ص ١٨ .دار الاعتصام بيروت.

وتقاليدها[1].

هذه بعض من كل فهناك أهداف كثيرة للمستشرقين منها أهداف سياسية واجتماعية واقتصادية ولكننا اقتصرنا على أهم الأهداف التي نراها لها أهمية فعالة في تحقيق مآربهم وهى القضاء على الإسلام والمسلمين خاصة في الجانب العقدي والتشريعي والأخلاقي .

وفي هذا الشأن يرد سؤلا مؤداه . هل نجح المستشرقون في تحقيق أهدافهم ؟ وفي الإجابة عن هذا السوال نقول : إنهم باءوا بالفشل الكامل. ولكن نقول : إن المستشرقين شمروا عن سعادالجد في الوصول إلى بغيتهم وتحقيق مآربهم وذلك لأن الواقع نفسه يعترف بأن الاستشراق لا يزال يصوب سهامه إلينا ولا زلنا في أمس الحاجة إلى مزيد من الجهود لرد كيد هؤلاء إلى نحورهم وهناك بعضا من النصوص التي تؤيد أن الاستشراق ما زال باقيا ويقوم بمهامه رغم محاربة الإسلام والمسلمين له . وهاك هى :

يقول نورما دانيل : « على الرغم من المحاولات التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب المسيحيين عن الإسلام فإنهم لم يتمكنوا من أن يتجردوا منها تجرداً تاما كما يتوهمون »[2]. وهناك بعض البحثين المنصفين الذين التزموا

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام د/ علي عبد الحميد محمود ص ٣٠. دار الكتاب العربي مرجع سابق .
(٢) التبشير والاستشراق أ/ محمد عزت الطهطاوي . ص ٤٥.

النزاهة في كتاباتهم وذلك بتحقيق الكثير من كتب التراث وعمل كثير من المعاجم التي تخدم العلوم الإسلامية وفي هذا يقول الأستاذ / محمد عزت الطهطاوي : لا جدال في أن كثري من المستشرقين يتعانون على تحقيق أهداف هذه المؤسسات لأن الاستشراق ارتبط منذ نشأته بالتبشير والاستعمار فالجامعة الأمريكية على سبيل المثال لا تزال موجودة في كل من القاهرة وبيروت واستانوبل وغيرها وبناء على ذلك يجب ألانتوقع من كل مستشرق في الوقت الحاضر الإنصاف والموضوعية بإستثناء فئة منهم ممن استجابوا لنداء الحق الذي تبين لهم من دراساتهم للتراث الإسلامي[1] ومن هذا المنطلق يجب أن نكون على يقظة تامة للتصدي لمثل هذه التيارات التي تريد النيل من الإسلام وأهله ونبيه حتى يمكننا تجنب الآثار السلبية للاستشراق والمستشرقين .

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

المطلب الرابع : طوائف المستشرقين

ينقسم المستشرقون الباحثون في الإسلام إلى عدة طوائف :

١- طائفة من طلاب الأساطير والغرائب ، الذين افتروا على الإسلام واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة . وقد ظهرت هذه الطائفة في بداية الاستشراق .

٢- طائفة من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم في خدمة المصالح الغربية الاقتصادية والسياسية والاستعمارية .

٣- طائفة تعرضت للإسلام باسم البحث العلمي النزيه . ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب ، وخرجوا يلتمسون نقاط الضعف في الإسلام . فأخذوا يشككون في صحة الإسلام . وفي التوحيد الإسلامي . وفي القرآن من حيث مصدره أو نصه . وفي الحديث وصحته . وفي قيمة الفقه الإسلامي ، وفي قدرة اللغة العربية على التطور .

٤- طائفة من المستشرقين التزمت في دراستها للإسلام الموضوعية والنزاهة العلمية وأنصفت الإسلام والمسلمين وقد أدى الأمر ببعضهم إلى إعتناق الإسلام [١].

والذي يعنينا في هذا البحث مناقشة الآراء الصادرة باسم العلم .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية د/ محمود حمدي زقزوق ص ٣١ مرجع سابق .

والمنهج العلمي . وأمـا الطوائف الأخـرى التي تجنت في بحوثهـا على الإسلام ونبي الإسـلام فلا يعنينا الحديث مـعها وذلك لأن المستشرقين أنفسهم معترفون الآن بأن أمثال هذه الطوائف لا قيمة لها .

المطلب الخامس : منهج المستشرقين في دراسة الإسلام

جاء في كتاب أضواء على الاستشراق والمستشرقين أن منهج الاستشراق في دراسة الإسلام ما نصه : « تكشفت في الآونة الأخيرة حقائق كثيرة حول مخططات الاستشراق في ضرب الإسلام بما يتطلب كشفه أمام من يخدعه الإدعاء الكاذب من أن الاستشراق قد طوى أوراقه أو غير وجهته ، وإذا كان هناك تغير فهو في الأسلوب ،وليس في الغاية فالغاية حددها القرآن الكريم بقوله : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [1].

إذا كان هذا هو المقصود بالمنهج الاستشراقي أي الرغبة في الطعن والتجريح في العقيدة الدينية والشريعة الإسلامية ولا شك أن هذا ليس بغريب عليهم فهو بطبيعة الحال ليس من العلم في شيء وإنما هو انحراف عن المنهج العلمي الصحيح ولا شكل أن هذا الانحراف العلمي هو سجية الكثير من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام . ومن هنا كان من الواجب علينا نحن المسلمين أن نقف من هذه الدراسات موقف الحذر وأن نعمل بقدر الطاقة على الكشف عما فيها من زيف وخداع .

إذ منهج المستشرقين الحقيقي هو هدم عقيدة الإسلام[2] ، من

---

(١) الآية رقم ١٢٠ سورة البقرة .

(٢) أضواء على الاستشراق والمستشرقين أ.د/ محمد أحمد دياب ص ٥١، ط أولى ، دار المنار القاهرة ، ١٩٨٧م .

جميع الجوانب ونذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

ولا شك أن هذه الجوانب التي سنذكرها تدور معظمها حول الطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإليك البيان :

أولا : طعن المستشرقين في القرآن الكريم :

إذا كان القرآن الكريم هوكتاب الله تعالى الذي تقوم على أساسه العقائد والشريعة الإسلامية وفضائل الأخلاق وهو الكتاب الذي جاء من عند الله عز وجل . وتولى حفظه الله عز وجل من عبث العابثين فقال الله عز وجل :﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[1] ، وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من أجل ذلك (اتجهت جهود المعارضين للإسلام قديما وحديثا إلى محاولة زعزعة الاعتقاد في صحته وفي مصدره ، وقد بدل المشركون قديما جهدهم في مقاومة أن القرآن الكريم وهو من عند الله عز وجل . فزعموا أنه : ﴿ إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ﴾[2] ، أو أنه ﴿ أساطير الأولين اكتتبها فهى تُملى عليه بكرة وأصيلا ﴾[3] وأن محمد ﴿ إنما يعلمه بشر﴾[4] ..... الخ..

---

(١) سورة الحجر الآية رقم ٩ .
(٢) سورة الفرقان الآية رقم ٤ .
(٣) سورة الفرقان الآية رقم ٥.
(٤) المستشرقون والإسلام د/ إبراهيم اللبان ص ٤٤ ملحق بمجلة الأزهر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

أو أن القرآن الكريم قول ساحر أوقول كاهن . وكان هدفهم من وراء هذا كله إبطال القول : بأن القرآن الكريم وحى الله من السماء إلى محمد ﷺ . وقد حذا المستشرقون المتحاملون على الإسلام في موقفهم من القرآن الكريم حذو مشركي مكة ، وبذلو محاولات عديدة لبيان أن القرآن ليس وحيا من عند الله . وإنما هو من تأليف محمد ﷺ وردوا أحيانا الاعتارضات التي قال بها المشركون قديما رغم إبطال القرآن الكريم لها . وهذا هو دأب المستشرقون وسجيتهم فقد دأبو على تصوير القرآن الكريم بأنه فيض وجدان النبي محمد ﷺ وصورة من انطباع نفسي بما كان يدور حوله . ويقع أمام عنينه . وأن الوحي الإلهي ليس وحيا منزلا من رب العالمين وإنما هو وحى من داخل النفس وهذا هو «جورج سيل » يقول في مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم التي صدرت في عام ١٧٣٦م نقلا عن الدكتور / إبراهيم اللبان: « أما أن محمدا كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل » [١]، هكذا يقرر هذا المستشرق أن القرآن من تأليف محمد بل إنه يجزم بالقول بأن هذه القضية لا تقبل الجدل لأنها حقيقة ثابتة في نظره . ولكن ما هى المصادر التي استقى منها محمدا معلوماته في كتابته للقرآن الكريم على حسب زعمهم ؟ وفي الإجابة عن هذا السؤال نقول : ذهب الخيال الاستشراقي في هذا الصدد كل مذهب ليوثق مزاعمه فيقول : ريتشارد بل مؤلف كتاب مقدمة القرآن

(١) المستشرقون والإسلام د/ إبراهيم اللبان ص ٢٤ مرجع سابق .

نقلا عن د/ إبراهيم اللبان :« إن محمدا اعتمد في كتاباته للقرآن الكريم على الكتاب المقدس . وخاصة على العهد القديم في قسم القصص فبعض قصص العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية ، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمدا ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمدها من مصادر يهودية ونصرانية . وقد كانت فرصته في المدينة للتعرف على ما في العهد القديم أفضل من وضعه السابق في مكة حيث كان على اتصال بالجاليات اليهودية في المدينة وعن طريقها حصل على قسط غير قليل من المعرفة بكتب موسى على الأقل »[1].

هذا هو قول المستشرقين وزعمهم بأن القرآن من تأليف محمد ﷺ وأنه استقى مصارده واعتمد عليها في تأليفه على الكتب اليهودية وخاصة العهد القديم وكتب موسى عليه السلام .

أما عن زعمهم بتأثير النصرانية عليه في تأليفه القرآن نجد قول : (بارت) أحد المستشرقين يقول : نقلا عن د/ حمدي زقزوق : لقد كانت معلومات الناس في مكة في عصر النبي - ﷺ - عن النصرانية محدودة وناقصة ولم يكن النصارى العرب سائرين في معتقداتهم في الاتجاه الصحيح . ولهذا كان هناك مجال لظهور البدعة المنحرفة ولولا ذلك لما كان محمد على علم بأمثال تلك الآراء التي تذكر صلب المسيح وتذهب إلى أن نظرية التثليث النصرانية لا تعني الآب والأبن والروح القدس . وإنما تعني - الله - وعيسى - ومريم وعلى أية حال

(١) المستشرقون والإسلام ص ٤٤ ، ٤٥ المرجع السابق .

فإن المعارف التي استطاع محمد أن يجمعها عن حياة المسيح وأثره كانت قليلة . ومحدودة . وعلى العكس من ذلك لأن محمد يعرف الشيء الكثير عن ميلاد عيسى وعن أمه مريم »[1]،كما زعموا أن الإسلام دعوة محلية لا تتجاوز العرب وأن فكرة العالمية للرسالة تمت حسب الظروف والأحوال وفي هذا يقول د وليم موير: «إن فكرة عالمية الرسالة .. لم يفكر فيها محمد نفسه وعلى فرض إنه فكر فيها فقد كانت الفكرة غامضة وأن عالمه الذي كان يُفكر فيه إنما هو بلاد العرب كما أن هذا الدين - الإسلام- لم يهيأ إلا للعرب دون غيرهم وهكذا ترى أن نواة عالمية الإسلام قد غرست ولكنها إذا كانت قد اخترت ونمت بعد ذلك فإنما مرجع ذكل إلى الظروف والأحوال أكثر منه إلى الخطط والمناهج[2] .

كما زعم بعض المستشرقين منهم(جولد زيهر - وقيل بول):أن الوحي الإلهي نوبة من نوبات الصرع التي كانت تنتاب محمدا ولكن منهم من دافع عن محمد ﷺ فنفى ما افتراه الجاهلون على النبي في حالات الصرع المدعاة لأن نوبة الصرع لا تذر عند من تصيبه أي ذكر لما مر به وقتها لأنها تعطل حركة التفكري والإحساس وقد أيد ذلك كل من الأب (هنري لاهتس) و(نون هامر) وقرن بين حالة الصرع والوحي [3].

(١) الإسلام في الفكر الغربي ص ٦٧ ، مرجع سابق .
(٢) أضواء على الاستشراق والمستشرقين ص ٥٠، نقلا عن الدعوة إلى الإسلام. مرجع سابق.
(٣) المرجع السابق نقلا عن المستشرقين والدراسات القرآنية ، د/ محمد حسين علي ص ١٧ بتصرف جـ١ المؤسسة الجامعية .

وأما زعمهم بأنه استقاه من مصادر نصرانية وأن «بارت» يعني بذلك أن المعلومات التي جاءت في القرآن عن النصرانية وعن المسيح وأمه كانت معلومات جمعها محمد ﷺ من البيئة التي عاش فيها .

وقد كانت المعلومات الشائعة في ذلك الوقت إما خاطئة أو محدودة - المهم أن محمداً قد ألف القرآن من تلقاء نفسه ما في ذلك شك ليس ذلك فحسب بل إنهم يذهبون إلى أن محمدا تعرف على النصارى من بحيري الراهب وذلك في رحلته إلى بلاد الشام وقد تمثل محمد في نفسه ما سمعه من بحيرى الراهب وما عرفه من أتباع اليهودية وخرج على الناس يعلن دينه الجديد الذي لفقه من الدينين الكبيرين .

ولا شك أن هذه كلها مزاعم لا أساس لها من الصحة وأن كل صاحب عقل سليم يرفضها ولا يقبلها فضلا عن ما ورد ردا على هذه المزاعم من القرآن الكريم وغيره من الكتب التي يشهد لها التاريخ والعلماء بصدق ما فيها وإليك الرد على هذه المزاعم الفاسدة :

الحقيقة التي يقرها كل ذي عقل سليم ونظر سديد وقلب سليم بريء من الحقد والحسد أن القرآن الكريم من عند الله عز وجل وليس من صنع محمد ﷺ ولا غيره من البشر وإليك البيان بالأدلة القاطعة:

أولا :

أن القـرآن الكريم أعـمق وأوسع من كل المعلومـات التي كـانت لدى كل من اليهود والنصارى في شتى بقاع العالم .

ثانيا :

إن القرآن الكريم إنما جاء مهيمنا علـى هذه الكتب وحاكما عليها فـذكر أن اليـهود والنصـارى أوتوا نصيبـا من الكتاب وأنهم نسـوا مما ذكـروا به . وأنهم حرفـوا الكلم عن مـواضعـه ، يقول الحق سـبحـانه وتعالى : ﴿ فما نقضهم ميثـاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضـعه ونسوا حظا مما ذكـروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين . ومن الذين قالوا إنا نصـارى أخذنا ميثـاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فـأغرينا بينهم العداوة والـبغضاء إلى يـوم القيامـة وسوف ينبئـهم الله بما كانوا يصنعون ﴾[1] ، فهل بعد هذا البـيان يمكن القول بأن محمـدا ﷺ استقى مـعلومـاته عن القـرآن الكريم من مـصـادر يهـودية أو نصـرانيـة كـمـا يزعمون. وهل أخذ القرآن من الرهبان كما يزعمون . وهل أخُذ القرآن من الرهبـان كمـا يدعون وإذا كـان الأمر كـذلك وأنه أخذ القـرآن من اليهودية أو النصرانيـة فمن الذي أسكت التاريخ كل هذا الزمن وجعله في حالة صـمت كامل قرابة خمسـة عشر قرنا من الزمـان إلى أن ظهر

---

(١) الآية رقم ١٣ ، ١٤ سورة المائدة .

المستشرقون فتنبهوا إلى هذه القضية الواهية ؟ الحق أن مثل هذه المزاعم ما هي إلا حقد على الإسلام وأهله من هؤلاء المستشرقين الذين أرادوا بهذا هدم الإسلام ونبي الإسلام وأن الذي دفعهم إلى هذا التآمر ما هو إلا خبث نياتهم وتعصبهم الأعمى . وكرهيتهم للإسلام ونبي الإسلام.

ولا شك أن هذه كلها مزاعم فاسدة وتخمينات باطلة وافتراضات واهية لاحظ لها من الواقع ، ولا سند لها من التاريخ الأمر الذي جعل بعض الغيورين على الإسلام من العلماء والمثقفين وعلى رأسهم أ.د / محمد عبد الله دراز فقد تناول جميع الافتراضات التي توصي بإحتمال وجود مصدر بشري للقرآن وناقشها مناقشة علمية وأظهر زيفها وبطلانها فقال : « إن جميع سبل البحث التي وقعت تحت أيدينا وناقشناها ثبت ضعفها وعدم قدرتها على تقديم أي إحتمال لطريق طبيعي أتاح له (النبي ﷺ) فرصة الاتصال بالحقائق المقدسة »(١).

ثالثا :

جاء القرآن الكريم مصدقا لما نزل على نبي الله موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما من أنبياء الله تعالى .. من حيث الكتب التي أنزلت عليهما وهي في الأصل من عند الله عز وجل قال تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه﴾(٢) ، وهناك من الأدلة القاطعة التي تحدث عنها القرآن الكريم

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم د/ محمد عبد الله دراز ص ١٦٥ - دار الشروق بمصر.

(٢) الآية رقم ٤٨ سورة المائدة .

وهى تشير إلى أن هذا القرآن من عند الله عز وجل وليس من صنع غيره إذ لو كان كذلك لما كان على هذا النسق البديع ولكان فيه اختلافا يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[1] ، ومنها قوله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [2]، ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿قل لئن اجتمعت ا لإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [3]، ولا شك أن كل هذه الآيات الكريمة قاطعة الدلالة على أن القرآن وحى من الله عز وجل لسيدنا محمد ﷺ وليس من صنع البشر ولا من عند أحد غير الله عز وجل.

كما أن هناك العديد من الأدلة التي تؤيد مخالفة القرآن الكريم لما ورد من أخبار في كل من العهد القديم والجديد . فهل يعقل بعد هذا البيان كله أن يكون محمد ﷺ قد استقى معلوماته عن القرآن الكريم من مصادر يهودية أو نصرانية كما يزعمون . وهل كان كفار مكة وهم الذين كانوا يتربصون بالنبي ﷺ وبما أنزل عليه ويتصيدون له أي خطأ هل كانوا يسيكتون لو كان الأمر كما يزعمون فقد زعم المشركون قديما أن الذي علم محمدا هو عبد رومي كان يصنع السيوف في مكة . وقد سجل القرآن الكريم عليهم هذا الزعم ورد عليه بقوله : ﴿ لقد نعلم

(١) الآية رقم ٨٣ سورة التوبة .
(٢) الاية رقم ٢ سورة يوسف .
(٣) الآية رقم ٨٨ سورة الإسراء .

أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[1] .

بعد هذا البيان يتبادر إلى الذهن سؤلا هو : يوجه إلى هؤلاء المستشرقين الحاقدين فيقال لهم :

لماذا لا يكون القرآن وحيا من عند الله عز وجل كما تزعمون وأنه الحلقة الأخيرة من حلقات الوحي الإلهي الذي أقام الاتصال بين السماء والأرض على مدى تاريخ البشرية الطويل . ولماذا تحرمون على الإسلام ما تبيحونه لليهودية والنصرانية ؟ هل هذا هو التعصب الأعمى المذموم . أم هى الكرهية لهذا الدين الخاتم الذي جاء مصححا لما طرأ على الأديان السابقة من أوهام وأباطيل ودعوة إلى الحق والطريق المستقيم . والذي يمكن أن نكون قد انتهينا إليه وتوصلنا له من خلال ما سبق أنه مما لا شك فيه ولا جدال أن القرآن الكريم إما هو وحي من الله عز وجل نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام إلى الأمين محمد ﷺ وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى :﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾[2]،فالإسلام هو الدين الخاتم للأديان كلها ونبيه هو خاتم

(١) الآية رقم ١٠٣ سورة النحل .
(٢) الآية رقم ٥٢ ، ٥٣ سورة الشورى .

الأنبياء جميعا قال تعالى : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم الأنبياء وكان الله بكل شيء عليما ﴾[1]، فهذا هو الدين الذي أرا د الله له أن يكون خاتما للأديان كلها وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور / حمدي زقزوق:« رد القياس لهذه الأديان جميعا لابد أن يكون مقياسا واحدا لأن مصدرها واحد ، ولكن هذا المقياس الذي نعنيه لن يكون بالتأكيد ذلك المقياس الذي يريد أن يطبقه المستشرقون على علاقة هذه الأديان بعضها ببعض وهو مقياس التأثير والتأثر . كما لو أن الأمر يدور حول شيء إنساني يخضع لهذا المقياس الإنساني » [2].

ومن هنا فما الواجب علينا تجاه هذه الفئة الضالة المضلة ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول : إننا نرفض كل الرفض هذا المنهج الهدام في دراسته للإسلام لأنه منهج مختلق وليد اللاهوت الأوربي وأن نتصدى لكل فكر يحاول النيل من الإسلام ونبي الإسلام بكل ما أعطانا الله عز وجل من قوة – سواء كانت علمية أو حربية .

ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم بحفظ الله له يشكل خطرا كبيرا علي هؤلاء الكفرة والملحدين المستشرقين وكل من يعادي الإسلام ونبيه سواء كان هذا العداء حسي أو معنوي وإليك أيها القارئ الكريم توضيح ذلك .

---

(١) الآية رقم ٤٠ سورة الأحزاب .

(٢) الاستشراق د/ حمدي زقزوق ص ٨٩ مرجع سابق .

خطورة القرآن الكريم في نظر الغرب :

وإذا كان أهل الشرك قديما خافوا من تأثير القرآن الكريم في أتباعهم كما حكى القرآن الكريم عنهم : ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [1].

فإن هذه النغمة بدأت تسيطر من جديد علي المستشرقين فها هو بلاشير يقول :« قلما وجدنا بين الكتب الدينية الشرقية كتابا بلبل بقراءته رأينا الفكري أكثر مما فعله القرآن » [2]، لذلك فهم يوصون إلى أوليائهم أن القرآن الكريم كتاب خطير للغاية ؛ لأنه اشتمل على مبادئ تقيم الدنيا ولا تقعدها . وإذا تحقق فهمها وتطبيقها ساد أهله العالم كله وتحكموا في مصيره ومن ثم يتبين ذلك المجهود الذي يبذله المستعمون في أن بصروا القرآن مجهولا وأن تظل مبادئه مهجورة بعيدة عن التنفيذ » [3]. ومن هنا نعرف سبب هلع الغرب وفزعه حينما يشعر بوجود تيار إسلامي في أي مكان في العالم الإسلامي أو ما يعرف الآن بالصحوة الإسلامية التي تعني لو أحسن ترشيدها عودة إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . هذا وتقوم وسائل الإعلام في الشرق والغرب ، بتصوير الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي بالتطرف والتشدد والجمود والرجعية ، ويعمل الغرب والشرق

---

(١) الآية رقم ٢١ سورة فصلت .

(٢) الاستشراق د/ زقزوق ص ٩٥ .

(٣) الاستشراقية في الإسلام د/ محمد غلاب ص ٦٠٨ ، ٦١٢ بتصرف . بدون.

مجتمعين بكل ما يملكون من قوة على ألا تقوم للإسلام قائمة وهذا هدف أساسي لهم لا خلاف عليه بين المعسكرين الغربي والشرقي . ولكن المسلمين للأسف الشديد لا يدركون ذلك ، ومن هنا تتجه الجهود إلى تحويل أفكار المسلمين - إلى أن طريق الخلاص . هو في اتباع الغرب العلماني ، ولهذا تنطلق الدعوة من جانب بعض المستشرقين إلى إصلاح الإسلام ، فالإسلام في زعمهم دين جامد لم يعد يساير روح العصر . ومن أجل ذلك فهو في حاجة إلى إصلاح جذري ، وفي ذلك يقول : « كراج » رئيس تحرير مجلة العالم الإسلام: « إن على الإسلام إما أن يعتمد تغييرا جذريا فيه أو أن يتخلى عن مسايرة الحياة »[1] ، وهنا يرد سؤلا مؤداه . ما هو الإصلاح المزعوم على محاولة تغيير وجهة نظر المسلم عن الإسلام ، وجعل الإسلام أقرب إلى النصرانية بقدر الإمكان. إن الدعوة إلى إصلاح الإسلام أو تحديثه كما يقال أحيانا ؟ إنما هى عبارة عن تفريغ الإسلام عن مضمونه . وعزله كلية عن تنظيم أمور المجتمع وجعله مجرد تعاليم خلقية شأن الديانة النصرانية .

وقد قام الاستعمار بالتخطيط المدروس لإضعاف العالم الإسلامي منذ زمن بعيد فمنع أي محاولة لجمع شمل المسلمين مرة أخرى « فقد جاء في تقرير وزير المستعمرات البريطاني -أورمس غو- لرئيس -حكومته بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٣٨ : أن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هى الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن

(١) الفكر الإسلامي الحديث أ.د / محمد البهي ص ٦٠٨ ، ٦١٢ . مرجع سابق.

تحذره وتحاربه . وليس الإمبراطورية وحدها . بل فرنسا أيضا ولفرحتنا فقد ذهبت الخلافة . وأتمنى أن تكون إلى غير رجعة . إن سياستنا الموالية للعرب في الحرب العظمى (يعني الأولى) لم تكن مجرد نتائج لمتطلبات (تكتيكية) ضد القوات التركية ، بل كانت مخططة أيضا لفصل السيطرة عن المدينتين المقدستين مكة والمدينة عن الخلافة العثمانية التي قامت آنذاك ولعادتنا وسعادتنا فإن كمال أتاتورك لم يضع تركيا في مسار قومي علماني فقط . بل أدخل إصلاحات بعيدة الأثر . أدت بالفعل إلى نقص معالم تركيا الإسلامية [1].

مكانة السنة من الدين :

إذا كان القرآن الكريم هو الأصل الأول للدين ، فإن السنة هى الأصل الثاني . ومكانة السنة من القرآن الكريم أنها مبينة وشارحة له . تفصل مجمله . وتوضح مشكله وتقيد مطلقه : وتخصص عامه . وتبسط ما فيه من إيجاز قال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون ﴾[2]، وقال تعالى :﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾[3] ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يبين تارة بالقول وتارة بالفعل . وتارة بهما . وقد اتفق العلماء الذين يعتد

(١) الاستشراق أ.د / حمدي زقزوق ص ٩٠ ، ٩١. مرجع سابق .
(٢) الآية رقم ٤٤ سورة النحل .
(٣) الآية رقم ٥٢ ، ٥٣ سورة الشورى .

بهم حجية السنة سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الاستقلال. قال الإمام الشوكاني :« إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها لتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في الإسلام »[1] وقد جعل الله عز وجل أمر رسوله واجب الاتباع ونهيه واجب الانتهاء عنه قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[2] .ولمكانة السنة من الدين ومنزلتها من القرآن الكريم عُنى الصحابة رضوان الله عليهم بالأحاديث النبوية عناية فائقة، وحرصوا عليها حرصهم للقرآن فحفظوها بلفظها أو بمعناها وعرفوا مغازيها ومراميها بسليقتهم ونظرتهم العربية بما كانوا يسمعونه من أقوال النبي ﷺ وما كانوا يشاهدون من أفعاله وأحواله . وعلى هذا لم تدون الأحاديث في عصر النبي ﷺ لأمرين :

١ - الاعتماد على قوة حفظهم وسيلان أذهانهم وعدم توفر أدوات الكتابة لهم .

٢ - ما ورد عن النبي ﷺ من النهي عن كتابة الأحاديث والإذن بكتابة القرآن الكريم .

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن ، ومن كتب عني شيئا فليمحه » والظاهر أن نهي النبي ﷺ عن كتابة الأحاديث . كان خشية أن

(١) إرشاد الفحول للإمام الشوكاني جـ ١ ص ١٤١ . مطبعة الحلبي.
(٢) الآية رقم ٧ سورة الحشر .

يلتبس على البعض بالقرآن الكريم أو أن يكون شاغلا لهم عنه ولاسيما أن القوم كانوا أميين .

وما أن توفى النبي ﷺ . ولحق بالرفيق الأعلى حتى كثر عدد من كان يكتب الحديث من الصحابة أو من التابعين . واستمر الأمر على ذلك البعض يكتب والبعض لا يكتب إلى أن كان عهد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه - فرأى جمع السنة وتدوينها خشية أن يضيع منها شيئا أو أن يلتبس الحق بالباطل ، وكان ذلك علي رأس المائة الأولى من الهجرة فدعا الخليفة، عمر بن عبد العزيز العلماد إلى جمع الأحاديث والسنن وتمحيصها وتمييز الصحيح من السقيم منها. فأخذ العلماء يجمعون الأحاديث ، وينقدون ويمحصون ويؤلفون الصحاح والسنن والمسانيد حتى جمعت الأحاديث كلها تقريبا في القرن الثالث الذي يعتبر العصر الذهبي للأحاديث والسنن ، وبانتهاء هذا القرن كاد ينتهي الجمع والابتكار والتأليف والاستقلال في النقد والتعديل والتجريح وبدأت عصور الترتيب والتهذيب ، أو الاستدراك والتعصيب . وذلك في العصر الرابع وما تلاه من العصور [1].

هذا ولم يكتف العلماء بجمع الأحاديث فقط بل عنوا عناية خاصة بنواح أخرى تتصل به من جهة سنده ومتنه مما يتوقف عليه قبوله أو رده وفي ذلك يقول الدكتور / محمد أبو شهبة : « ولعمر الحق أن

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين د/ محمد أبو شهبة ص ٣٤. دار الطباعة المحمدية.

فقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد أن اكتمل الدين بقول الله تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (١).

ثالثا : زعمهم بأن الإسلام عدو للعلم التجريبي :

إن المتصفح لكتب هؤلاء المستشرقين ومن يطالع تاريخهم وكتاباتهم يلاحظ أنهم يوجهون الطعن للإسلام بأنه عدو للعلم التجريبي ويزعمون أن الدين المسيحي (النصرانية) هم أصحاب العلم التجريبي وهم المؤسسين له ويحاولون أن يدعموا هذا الزعم الواهي بضرب مقارنة بين حال المسلمين وحال الغربيين الآن . ويقولون : « إن المسلمين متأخرون في العلوم المادية كالطبيعة والكيمياء والفلك وغير ذلك بسبب تمسكهم بالمبادئ الإسلامية وأن الغربيين متقدمون في هذه العلوم بسبب تمسكهم بمبادئ الدين المسيحي ، أما المستشرقون العلمانيون الذين يعملون لحساب القوى الدولية الأخرى غير التبشيرية فإنهم يقررون أن الأديان كلها عدوة للعلم المادي بما فيها الإسلام والنصرانية معا . ويستدلون على ذلك بالنسبة للإسلام بحال المسلمين الآن وبالنسبة للنصرانية فإنهم يستدلون على عداوتها للعلم بأن الغرب أوربا وأمريكا وروسيا لم يتقدم علميا إلا بعد التحرر من سلطان النصرانية وحارب الدين وتمسك بالعلمانية التي تحصر النصارنية داخل

---

(١) الآية رقم ٣ سورة المائدة .

الكنائس وتمنعها من التدخل في الأمور العلمية والاجتماعية كالعلمانية التي طبقت في الغرب الرأسمالي أو بالعلمانية التي تعمل للقضاء على الدين تماما كالعلمانية التي طبقت في الدول الشيوعية [1].

الرد على هذه المزاعم وادحاضها :

إن هذا الزعم الذي قال به المستشرقون ومن حزا حزوهم وهو أن النصرانية هى أساس العلم والتقدم وأن الإسلام عدو للعلم التجريبي في الحقيقة زعم واه ولا أساس له ولا دليل عليه وذلك للحقائق الآتية:

إن أوربا لم تتقدم إلا بعد أن تحررت من سلطان النصرانية الغربيةو التي تحارب التقدم العلمي وأنشأت محاكم للتفتيش لمحاولة العثور على أن العالم يقول بأى فكرة علمية تخالف ما تقوله الكنيسة واتخاذ الإجراءات اللازمة ضده والتي كانت تصل إلى حد القتل والحرق . ولعل محاكمة « جاليليو ١٥٦٤ - ١٦٤٢م» على فكرته بأن الأرض تدور واضطراره إلى الركوع أمام الباب والرجوع عن قوله هذا وأيضا قتل وإحراق الكثير من العلماء التجريبيين خير شاهد على العداوة بين النصرانية والعلم [2].

هذا وأن مبادئ النصرانية ونصوصها متناقضة مع العلم الحديث

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ص ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة د/ يوسف كرم ص ٢٤ .

الحديث لم يبذله من أتباع النصرانية واليهودية في سبيل توثيق العهدين القديم والجديد ، كما سبق أن تحدثنا عن ذلك .

هذا وأما عن دعوى أن الحديث كان نتيجة عن التطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأولين وما ذكره « جودلد تسهير » من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه .. فإن الواقع والتاريخ يكذب ذلك الزعم لقد انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعد أن اكتمل الدين ونضج وأخرج ثماره قال تعالى :﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾[1]. فالحديث عن مرحلة نضوج الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ حديث لا أساس له من الصحة ، وذلك لأن الإسلام كماله قد تم بالفعل قبل وفاته ﷺ .

وأما إذا كان المراد بالنضوج والكمال هو تطور الفكر الإسلامي أو الفقه الإسلامي فهذا أمر أقره الإسلام ، حيث أباح الاجتهاد في فروع العلم لا في أصوله . فإذا كان اجتهادا خاطئا فلصاحبه أجر واحد، وإن كان اجتهادا صائبا لفصاحبه أجران [2]، وهكذا لم يصل المستشرقون إلى ما يريدون من زعزعة اعتقادات المسلمين واهتزاز تمسكهم بقرآنهم وسنة نبيهم رغم كل محاولاتهم ذلك وحتى يتضح ذلك جليا نسوق بعون الله عز وجل بعض من الأمثلة والصور التي توضح ذلك .

---

(١) الآية رقم ٣ سورة المائدة .

(٢) الإسلام والمستشرقون د/ عبد الجليل شلبي ص ٥١ ،ط الشعب .

١- حديث الايمان والإسلام والإحسان :

وهو الحديث الذي رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه . وفيه يسأل جبريل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان ؟

والإحسان فيجيب النبي ﷺ بأن الإسلام هو :

«أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» .

والايمان هو :

« أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره » .

والإحسان هو :

« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

تعليق المستشرقين على هذا الحديث :

١- إن التفرقة بين الإسلام نذكر الحديث لأول مرة في تارخ العقيدة الإسلامية لأن القرآن في زعمهم لا يفرق بين الإسلام والإيمان ومن ثم فالحديث لابد أن يكون موضوعا لتكملة هذا النص المزعوم في القرآن »[1].

---

(١) مجلة الأزهر بحث الدكتور / أحمد عبد الحميد غراب جـ٢ ص ١٧٠ عام ١٩٦٣.

أما الإحسان فيزعم هؤلاء المستشرقون أنه عنصر جديد تماما على الإسلام وأن مفهوم الإحسان مأخوذ من مصدر مسيحي لأن العهد الجديد يصف موسى عليه السلام بأنه بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك لأنه تشدد كأنه يرى من لا يرى [1].

الرد على هذا الزعم وهذه الشبهة :

إن الحقيقة الواضحة التي لا تخفى على أحد أن آيات القرآن الكريم واضحة الدلالة على أن هناك فرقا بين الإسلام والإيمان يؤكد ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم . وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم ﴾ [2]، يقول ابن كثير : « وقد استفيد من الآيات أن الإيمان أخص من الإسلام ، ويدل عليه حديث جبريل حين سأل عن الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص [3]،فالإسلام يطلق على الأعمال الظاهرة والإيمان تصديق القلب بالله ورسوله لا شك ولا ارتياب . وهو التصديق الذي يُكتشف من الأعمال الصالحة كالإنفاق والجهاد في سبيل الله وقد ورد وصف المؤمنين في كتاب الله عز وجل بصفات كثيرة هي في الحقيقة خصائص الإيمان .

---

(١) رسالة إلى العبرانيين ف ١١ : ٢٧ .

(٢) الآية رقم ١٤ سورة الحجرات .

(٣) مختصر ابن كثير تحقيق / محمد علي الصابوني ج٣ ص ٣٦٨. ط الحلبي.

أما زعمهم بأن الإحسان عنصر جديد على الإسلام ومن محاولتهم أن يوجدوا شبها بين الحديث والعهد الجديد ، فمن الواضح أن المشابهة بين النصين بعيدة كل البعد ومختلفة وليست صحيحة وأن مفهوم الإحسان ليس جديدا على الإسلام وذلك لأن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الإحسان قد جاء مع مشتقاته في الكثير منها فأخذ منها على سبيل المثال قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ (١).

ومنها قوله تعالى : ﴿ بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (٢).

ومنها قوله عز وجل :﴿ ومن أحسن دينا مما أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ (٣).

هذا إلى جانب وصف المحسنين في القرآن بصفات كثيرة تدل على أن الإحسان في الإسلام له مدلول واسع يشمل كل عمل صالح على درجة من الكمال الخالص لوجه الله عز وجل . أما عن دعوى أن الحديث كان نتيجة للتطور الديني والسياسي والاجتماعي للإسلام في القرنين الأول والثاني وما ذكره جولد تسهير من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه فإن الواقع والتاريخ يحبط ذلك ويكذبه .

---

(١) الآية رقم ٩٠ سورة النحل .
(٢) الآية رقم ١١٢ سورة البقرة .
(٣) الآية رقم ١٢٥ سورة النساء .

البحث عنه من هذه النواحي بحث جليل القدر ، جم الفائدة إذ يتوقف عليه تمييز الطيب من الخبيث والصحيح من العليل وتطهير السنة مما عسى أن يكون داخلها من التزيد والاختلاف وبذلك تسلم الشريعة من الفساد ، وتلك النواحي التي بحثوا فيها مثل كون الحديث صحيحا أو حسنا أو ضعيفا وأحوال كل وبيان أقسام الضعيف كالمنقطع والمعضل والشاذ والمقلوب والمنكر والمضطرب والموضوع ، وما يتصل بذلك من البحث عن أحوال الرجال من الجرح والتعديل وألفاظ كل . والراية وشروطها والتحمل وكيفياته . والأداء وألفاظه وبيان علل الحديث ، وغريبه ومختلفه ، وناسخه ومنسوخه ، وطبقات الرواة وأوطانهم ووفياتهم إلى غير ذلك مما نجده مبسوطا في كتب علوم الحديث والرجال [1].

ولما كانت أهداف المستشرقين تقويض صرح الإسلام الشامخ وذلك بتقويض دعامتيه القرآن والسنة ، ولما عز عليهم التشكيك في القرآن على كثرة ما حاولوا ركزوا معظم جهودهم في السنة بحجة عدم تواترها في تفصيلها .

(١) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ص ٣٤ د/ محمد أبو شهبة . مرجع سابق .

ثانيا : أكاذيب المستشرقين حول السنة المطهرة :

أما عن السنة النبوية فقد أراد المستشرقون أيضا بعد محاولتهم الفاشلة التشكيك في القرآن الكريم في جوانبه المختلفة ، ولما لم تنجح هذه المحاولات لدى المسلمين المتمسكين بقرآنهم ، اتجهوا إلى محاولات أخرى للتشكيك في الأصل الثاني وهى السنة النبوية وأول مستشرق قام بمحاولة التشكيك في الحديث النبوي هو المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) الذي يعتبره المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوي يقول: « إن القسم الأعظم من الحديث بمثابة نتيجة لتطور الإسلام الديني والتاريخي والاجتماعي في القرن الأول والثاني، فالحديث بالنسبة له لا يعد وثيقة لتاريخ الإسلام في عهده الأول : عهد طفولته ، وإنما هو أثر من آثار الجهود التي ظهرت في المجتمع الإسلامي في عصور المراحل الناضجة لتطور الإسلام » [1].

والأمر الذي لا شك فيه أن علماء المسلمين الذين اهتموا بجمع الحديث النبوي لم يتهاونوا إطلاقا في ضرورة التدقيق الذي لا حد له في رواية الحقائق فلقد كان لعلماء الحديث اليد الطولى والباع الطويل في نقد الرواة وبيان حالهم من جرح أو تعديل وصدق أو كذب . وقد وصلوا في هذا الشأن إلى أبعد مدى فتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم . ويعلم «جولد تسيهر »وغيره من المستشرقين ذلك حق المعرفة والعلم ويعلمون أيضا أن ما بذله المسلمون في توثيق

(١) السنة ومكانتها في التشريع الرسلامي د/ مصطفى السباعي ص ١٦١ .مرجع سابق.

ولعل أوضح الأدلة على ذلك كون الأناجيل نفسها متناقضة تناقضا بينا في نصوصها فإنجيل متى يناقض إنجيل يوحنا وإنجيل يوحنا يناقض إنجيل مرقص ولوقا وهكذا . هذا من ناحية زعمهم بأن النصرانية هي أساس التقدم العلمي . أما من جهة زعمهم بأن الإسلام عدو العلم التجريبي ومحاولة دعمهم هذا الزعم بحال المسلمين وحال الغربيين وقولهم بأن المسلمين متأخرون بسبب تمسكهم بالمبادئ الإسلامية . فنقول : لهم هذا إدعاء باطل ولا دليل عليه ولا أساس له من الصحة والدليل على ذلك ما يلي :

١ - أنه لا يوجد في كتاب لله تعالى ولا في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام ما يمنع التقدم العلمي بل هناك نصوص كثيرة تدعوا إلى النظر في الكون واكتشاف قوانينه ومن هذه النصوص قول الله تعالى : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور ﴾ [1].

وقوله تعالى : ﴿ وفي آنفسكم أفلا تبصرون ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج .

---

(١) الآية رقم ٢٧ ، ٢٨ سورة فاطر .
(٢) الآية رقم ٢١ سورة الذاريات .

تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ [1].

٢- لا يوجد في القرآن ولا في السنة النبوية نص يتعارض مع مبادئ العلم الحديث ويؤيد هذا ما جاء عن العالم موريس بوكاي حيث يقول : « لقد قمت أولا بدراسة القرآن وذلك دون أي فكر مسبق وموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث وكنت أعرف قبل هذه الدراسة عن طريق المترجمات أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ولكن معرفتي كانت وجيزة وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت فيها بعد الانتهاء منها أن القرآن الكريم لا يحتوي على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » [2].

٣- توجد في القرآن الكريم آيات متعددة تدعو الإنسان إلى أن يأخذ حذره من الأهواء والأوهام وأن يتجنب التقليد للآخرين والتأثر بهم وبعد أن يتخلى عن هذه الأشياء عليه أن ينظر بنفسه إلى الحق بعيدا عن المؤثرات ولا شك أن هذه الخطوة هى إحدى المراحل الأساسية في المنهج التجريبي هذا وأن الإسلام دعا إلى النظر في الكون واكتشاف قوانينه وأن العلماء المسلمين طبقوا هذا واستخلصوا منها من

(١)الآية رقم ٦:١١ من سورة ق .

(٢) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة / موريس بوكاي ص ١٣٠. بدون.

خلال البحث في العالم الطبيعي والمنهج التجريبي وحددوا مراحله التي تتمثل في الملاحظة والتجربة والفرض والقوانين مثل ما حددها العلماء الغربيون . وكذلك طبق علماء المسلمين منهجهم الإسلامي في بحث الظواهر الطبيعية في مجالات العلم الحديث »[1].

بعد أن أوضحنا هذه الحقائق التي لا يمكن لأحد أن يتجاهلها إلا حاقد أو متعصب أعمى نكون قد أبطلنا شبه هؤلاء الأفاكين وزعمهم بأن الإسلام عدو للعلم التجريبي وأن المدقق في فكر هؤلاء المستشرقين يجدهم في قمة التحدي للفكر الإسلامي وللإسلام ونبيه ومن هنا كان الواجب علينا الوقوف بكل قوة والتصدى لهم بكل سلاح لرد كيد هؤلاء الأفاكين . والزامهم بالحق ودحض كل شبه ينصرونها وفي هذا يقول الدكتور / حمد زقزوق : « إن المواجهة الفكرية الجادة هي الطريق الصحيح لمواجهة آية تيارات مناوئة للإسلام والمسلمين ومن أجل ذلك ينبغي أن ننظر إلي حركة الاستشراق بكل جدية ونأخذ في الحسبان أن لها آثار كبيرة على قطاعات عريضة من المثقفين في العالم الإسلامي وفي العالم الغربي على السواء ولهذا لابد من التوفر على دراسة الاستشراق دراسة عميقة .. ولما كان الفكر الاستشراقي مكتوبا بشتى اللغات الحية ومنتشرا انتشارا واسعا على مستوى عالمي فمواجهته لابد

---

(١) التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة د/ أحمد فؤاد ص ٨١.دار الهداية للطباعة.

أن تكون على المستوى العالمي نفسه »[1].كما ينبغي أن نعمل على بيان المصادر التي اعتمد عليها المستشرقون في كتاباتهم عن القضايا الإسلامية وهل هى مصادر إسلامية . أم غير إسلامية وذلك لأن بعض المستشرقين يعتمد على ما ذكره المستشرقون كمصدر أساسي دون الرجوع إلى كتب المسلمين .

تعقيب :

والذي نخلص إليه بعد عرض كل هذه الأمثلة من آراء المستشرقين حول الإسلام ما يلي :

١ - أن الاستشراق لم يحاول أن يطور من أساليبه ومناهجه في دراسته للإسلام ، فلم يستطع أن يحرر نفسه تماما من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتي العقيم الذي انبثق منه الاستشراق أساسا .

٢ - يخلط الاستشراق كثيرا بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة . وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم فإسلام الكتاب والسنة إسلاما ميتا ، أما الإسلام الحي فهو ذلك الإسلام بين فرق الدراويش في مختلف الأقطار الإسلامية .

٣- يؤكد الاستشراق بوضوح على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية والقديانية . ويعتبر المستشرقون أن المنشقين عن الإسلام هم أصحاب فكر ثوري تحرري .

---

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية د/ حمدي زقزوق . ص ١٣١ .

٤- يجد المرء الموضوعية في كتابات المستشرقين عن الإسلام في أنهم عندما يكتبون عن الأديان الوضعية الأخري مثل البوذية والهندوكية نجدهم موضوعيين في عرضهم لهذه الأديان . ومن هنا نلاحظ أن الإسلام من بين الأديان أو الديانات التي ظهرت في الشرق والغرب هو الوحيد الذي يهاجم . ولعل السبب في ذلك أن أن الإسلام كان يمثل بالنسبة للغرب صدمة مستمرة وكان يمثل خطرا مستمرا على المدنية النصرانية كلها خاصة في عهد العثمانيين وما بعدهم . ومن هنا يمكن أن نقول أن ما يدعيه (موير) من (أن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عنادا ضد الحضارة والحرية الحقيقية ، وأن ما يدعيه (نون جروينباوم) من أن الإسلام ظاهرة فريدة لا مثيل لها في أي دين آخر أو حضارة أخرى ، فهو دين غير إنساني وغير قادر علي التطو ر والمعرفة الموضوعية . وهو دين غير أخلاقي وغير علمي واستبدادي »[1]. ومن خلال هذه النصوص وغيرها يتضح الحقد الدفين على الإسلام وأهله دائما ومن غير هوادة منهم . وعليه فإن الإسلام الذي يتحدث عنه هؤلاء المستشرقون . المتحاملون عليه في كتبهم في الحقيقةما هو إلا إسلام من افترائهم ومن عند أنفسهم . ولا شك أنه ليس هو الإسلام الذي ندين به كما أن محمد الذي يصورونه في مؤلفاتهم ليس هو محمدا الذي نؤمن به وما هو إلا شخص آخر من نسج خيالهم ومن ثم يمكن

(١) الاستشراق د/ حمدي زقزوق ص ١١٧.

القول بأن الاستشراق في دراسته للإسلام . ليس علما يقاس بأي معيار علمي . وإنما هو أيديلوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام . بغض النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على أساس علمي أو مرتكزة علي أوهام وافتراءات . هذا وقد آن الأوان ، لوضع حد لهذه الحملات العدائية ضد الإسلام والمسلمين سواء من جانب المستشرقين أو من جانب وسائل الإعلام الغربية . خاصة وأن الديانات السماوية أصبحت اليوم مهددة من جانب التيارات الإلحادية التي تجتاح العالم كله . ،لعلك علي بصيرة من الأمر فإن التهديد ليس موجها ضد الإسلام فقط وإنما هو موجها ضد النصرانية واليهودية أيضا .

ومن هذا المنطلق فإن الواجب ، تتكاتف جهود القائمين على الأديان الثلاثة للوقوف صفا واحدا ضد الإلحاد والطغيان المادي . الذي يكاد يعصف بكل القوى الروحية في العالم كله . والحق أن هذا لن يتحقق طالما هناك فئة من المستشرقين مستمرة في عدوانها ضد الإسلام ومقدساته وضد المسلمين وقيمهم وأخلاقهم ، ومع كل هذا فإننا لا ننكر أن هناك عددا لا بأس به من المستشرقين المنصفين الذين مدحوا حضارتنا ومدوا تراثنا . ونحن نقدر لهؤلاء هذه الجهود العالمية العادلة . ونشكر لهم باسم العلم اخلاصهم للحقيقة . والتزامهم بالموضوعية والبعد عن الأهواء والتعصب والأغراض وعلينا نحن المسلمين أن نجد ونجتهد في الدفاع عن الإسلام ومعتقداته .

ونحافظ على تراثنا ومسجد ديننا . ولن يتحقق كل هذا إلا إذا أصلحنا أعمالنا وراقبنا ربنا في جميع أمورنا وغيرنا ما تنطوي عليه نفوسنا وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

أحمد بخيت عبد ربه الليموني

مدرس العقيدة والفلسفة بقسم أصول الدين
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

---

(١) الآية رقم ١١ سورة الرعد .

المراجع والمصادر

١- أ.د/ إبراهيم اللبان

المستشرقون والإسلام (مجلة الأزهر سنة ١٩٧٠م)

٢- أ / إبراهيم النعمة

المسلمون أمام تحديات الغزو الفكري .بدون

٣-أ/ أنور الجندي

شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي -دار الاعتصام بيروت.

٤- د/ أحمد عبد الحميد غراب

بحث بمجلة الإزهر سنة ١٩٦٣م .

٥- د/ أحمد فؤاد

التراث العلمي للحضارة الإسلامية ومكانته في تاريخ العلم والحضارة - دار الهداية .

٦- د/ أحمد كايلفتس

فلسفة الاستشراق - دار المعارف المصرية .

٧- د/ رضوان السيد

ثقافة الاستشراق ومصائره - مجلة الفكر العربي عدد ٣١.

٨- د/ سلطان عبد الحميد سلطان

من صور الغزو الفكري للإسلام دار الفكر العربي.

٩- د/ عبد الفتاح الديدي

الاستشراق .بدون

١٠- د/ عبد الحليم محمود

أوربا والإسلام - دار الحكمة

١١ - د/ علي عبد الحميد محمود

الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - دار الكتاب العربي .

١٢- د/ محمد البهي

الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي - مطبعة وهبه.

١٣ - الشيخ / محمد الغزالي

فقه السيرة - دار الكتب

١٤- د/ محب الدين الخطيب

الغارة على العالم الإسلامي - بيروت

١٥- د/ محمد أحمد دياب

أضواء على الاستشراق والمستشرقون دار المنار القاهرة

١٦- د/ محمد حسنين على

المستشرقين والدراسات القرآنية- مكتبة المؤسسة الجامعية

١٧ - د/ محمد أبو شهبه

دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين - دار الطباعة المحمدية.

١٨- أ/ محمد عبد الله دراز

مدخل إلى القرآن الكريم - دار الشروق بمصر

٢٠- الإمام الشوكاني

إرشاد الفحول الحلبي - تحقيق .

٢١- محمد علي الصابوني

مختصر ابن كثير . الحلبي

٢٢- أ. د/ حمدي زقزوق

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . بدون

٢٣- المستشار / محمد عزت الطهطاوي

التبشير والاستشراق - مجمع البحوث الإسلامية .

٢٤- د/ عبد الجليل شلبي

الإسلام والمستشرقون مطبعة الشعب

٢٥- د/ نجيب العزيزي

المستشرقون والفكر الإسلامي الحديث - دار المعارف

٢٦- د/ مصطفى السباعي

الاستشراق والمستشرقون . بدون.

* * *